الانتقال من مرحلة "الثورية" الى "الارتزاق"
كردستان/العراق نموذجاً

أيوب بابو بارزاني 3/20/ 2024 جنيف

مشروع التوريث الخفي!
إزالة العقبات أمام المشروع.
القضاء على الرمزية الثورية.
ارهاب الشعب الكردي.
ابادة عائلة محمد آغا ميركه سوري آذار 1975
وإبادة البارزانيين في آب 1983.

مشروع التوريث الخفي!

كان هناك طوال الفترة الممتدة بين عام 1961-1970 طرفين كرديين معاديين، بيشمركه من جهة وجاش (مرتزقة) من الجهة الثانية، وكان الأول في نظره، يملك جميع مظاهر الشهامة والنبل والشرف والوطنية والتضحية من أجل الحقوق القومية للشعب الكردي، والثاني متهم بالعمالة والخيانة وفقدان الشرف والكرامة وباعوا ضمائرهم لقاء دنانير معدودة يستلمونها من الحكومة العراقية.

يقف ملا مصطفى على رأس الطرف الأول، ويقود محمود آغا الزيباري مجموعة من الطرف الثاني مع ابنه زبير واخوته وقواتهم كانت مؤلفة من أفراد عشيرة الزيبار، وكانوا تحت امرة الضباط الكبار في الجيش العراقي وتوجهاتهم.

ومن المفارقات أن ملا مصطفى (قائد البيشمركه) متزوج من ابنة محمود آغا الزيباري (قائد الجاش).

كانت تجري معارك ضارية بين قوات الجانبين، وتقع ضحايا وتحرق القرى والحقول بصورة وحشية وعلى مدى سنوات. وكان الانتماء الى جبهة المرتزقة مهانة وعاراً في الذهن الجمعي للشعب الكردي آنذاك.

ملا مصطفى كان على صلة بصهره سراً ويشتمه علناً أمام البيشمركه.

كان ملا مصطفى قد ناهز السبعين عاماً ومسلحاً ببيان 11 آذار المُوَقَع مع صدام حسين، واعتبر بطلاً قومياً حقق الحكم الذاتي لأول مرة في التاريخ بفضل تضحيات الشعب الكردي، وأحيط بهالة من الاعجاب والمديح والأغاني التي لا تخلو من المبالغات. في الواقع بالتوقيع على بيان 11 آذار 1970حقق صدام حسين هدفه في كسب الوقت الضروري لتقوية نظام البعث المهدد بالسقوط من الداخل من خلال تهدئة الجبهة الكردية على مدى أربع سنوات.

صدام حسين الشاب 33 عاماً، أستغل الهدوء على مسارين: تصفية العناصر المشكوك في ولائها في سلك الجيش والشرطة وجهاز الأمن وفي جميع مفاصل الدولة وتبعيثها، ولم يغفل عن التآمر على القيادة الكردية وشراء ذمم عدد من القادة وزرع الجواسيس في صفوف الحركة الكردية وفي أعلى المستويات. والمسار الثاني ابرام معاهدات صداقة مع موسكو والمعسكر الاشتراكي، يضمن تدفق السلاح والمعدات والدعم السوفيتي لخطوته في تأميم الثروة النفطية، والحدّ من سيطرة احتكار الشركات الغربية على ثروات العراق.

تخلى مؤقتاً صدام حسين عن المرتزقة الكرد القدامى والمكتب السياسي القديم لـ (حدك)، وسَرّحَهم جميعاً وقطع عنهم الرواتب وهذا ما أرغمهم على التصالح مع قيادة الحركة الكردية، عدى قلة، وفعلاً جرت "مصالحة وطنية،" بمن فيهم صهر ملا مصطفى(محمود آغا) وأخوال مسعود وعلى رأسهم زبير آغا (المدلل) وفي حين

تعاملت قيادة الحركة الكردية مع المرتزقة القدامى على أنهم مواطنون عاديون، مَيّزت القيادة الكردية محمود آغا وابنائه بمنحهم امتيازات مالية ومناصب كبيرة، والعودة الى مناطقهم كأسياد وفق النظام الاقطاعي المعمول به في خمسينات القرن العشرين في العهد الملكي.

وعندما عارض مجموعة من الفلاحين أوامر زبير محمود آغا بتسليم محاصيل قريتهم (هرنى) هذه المرة باسم الثورة الكردية، أرسل ملا مصطفى حراسه إليهم، يهددهم بالقتل وأشد التنكيل إن قاوموا إرادة زبير محمود آغا فالمفروض قبولهم كقادة بيشمركة. فَهِمَ أهل القرية أن زبير آغا يستمد سلطته المباشرة من شخص ملا مصطفى.

شعر ملا مصطفى بأهميته القصوى والاحترام الذي حظي به جماهيرياً بعد بيان آذار انه حرّ في أي خطوة يخطوها وهو غير ملتزم لا بدستور الحزب ولا بالقيم الثورية أو بالعهود التي قطعها لرفاق السلاح القدامى، ظهر عليه فقدان المناعة أمام العواطف العائلية والتي دفعته نحو تبني "مشروع الوراثة" الهدّام وان اقتضى استخدام العنف المفرط، متجاهلاً تماماً السمعة الشخصية وإذلال رفاق السلاح والقيم القومية والوطنية. وفي الواقع احتلّ هذا "المشروع" موقع الصدارة فيما تبقى من حياته وجَسّدَ ذلك نقطة الانعطاف التاريخية في تعزيز نفوذ (الجاش) المرتزقة وقِيَمهم داخل قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني، وهدم المنظومة الأخلاقية لبارزان ومحاربتها بشتى الطرق. وظهرت آثار مشروع ملا مصطفى في المدى البعيد بوضوح أكثر بعد أن خلفه ابنه مسعود واستولى على مصادر الحكم ودخل في تعاون وثيق مع صدام حسين على جميع المستويات العسكرية والاقتصادية والسياسية والأمنية، هرع صدام حسين بدباباته لنجدته والاستيلاء على أربيل عام 1996 وأهداه مفاتيح المدينة، وبقي مع نظام الطاغية حتى بعد سقوطه واستقبل واستضاف الكثيرين من مجرمي نظام البعث في أربيل ولم يعد هذا سراً.

إزالة العقبات أمام المشروع

قبل البدء بتنفيذ "مشروع التوريث" كانت الجبهة الكردستانية موحدة الى حدٍ لا بأس بها، وكان هذا من متطلبات مقاومة هجمات المعسكر المعادي المؤلف من آلاف المرتزقة الكرد الى جانب الجيش العراقي على كردستان. هذه الوحدة أصيبت في الصميم بعد شروع ملا مصطفى بتنفيذ "مشروع التوريث". فقد صَمَمَ ملا مصطفى على فرض مسعود على (حدك) شاء أم أبى، وفرضه على بارزان بالقوة أو الدسيسة، ويكون مسنداً من خاله زبير بعد توفير القوة اللازمة له، حوّل الحزب الى أداة طيعة يتحرك حسب هواه، واستولى على جميع السلطات السياسية والإمكانات المالية والعسكرية ونقلها الى مقره الشخصي (مقرّ البارزاني المؤلف من ملا مصطفى – ادريس -مسعود) يقول الدكتور محمود عثمان المطلع على خفايا الأمور:

" القيادة (التي لا تؤمن بالحزبية أصلاً) بعد بيان آذار بدأت بمدّ نفوذها مباشرة «الى داخل الحزب لعلمها بأن الحزب سيلعب دوراً مهماً في هذه المرحلة) وذلك بفرض بعض العناصر عليه وكان هذا واضحاً في المؤتمر الثامن 1970 حيث دخل ادريس ومسعود قيادة الحزب وفرضت عناصر لا حزبية على هذه القيادة ولضمان تطبيق ذلك جلبت بشكل غير شرعي الى داخل قاعة المؤتمر الكثير من العناصر غير الحزبية وبدرجة أخذوا يشكلون حوالي ثلث المندوبين كذلك وجدنا انه بعد بيان آذار ولحدّ انتهاء الثورة أخذ مقرّ البارزاني عن طريق جهاز الباراستن والنفوذ الشخصي يَدُسُ بعناصر موالية له في صفوف الحزب وذلك لإضعافه واضعاف أي دور يمكن أن يلعبه كجهاز قيادي في الثورة وأخذت الصلاحيات تركز في يد العناصر العسكرية وعناصر الباراستن المطيعة دون نقاش لمقرّ البارزاني..... وهكذا أخذ دور الحزب ووجوده في الثورة يضعفان يوما بعد يوم وعلى جميع المستويات." [1]

انتهى دور التدرج الطبيعي في المناصب الحزبية حسب ما ينص عليه الدستور، فرئيس الحزب هو الذي يعين رجاله ويقيل مَن ومتى ما أراد فسادت المحسوبية والمنسوبية. وعندما تجدد القتال في ربيع 1974[2] كان جهاز الأمن العراقي قد اخترق المناصب الحساسة، السياسية والعسكرية للثورة الكردية، فكانت الجبهات الرئيسية

[1] (تقييم مسيرة ثورة أيلول وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها) ومن اعداد الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية وطبع عام 1977

[2] نفس المصدر السابق

تنهار بسرعة.. ولمعرفة تفاصيل تدجين قيادة (حدك) يرجى مراجعة المصدر السابق وهو بحق تحليل موضوعي للكارثة الكبرى التي صنعها في المقام الأول شخص ملا مصطفى بنزعته الاستبدادية المفرطة وعدم أهليته وتهربه من المسؤولية.

لم يكن المشروع الخفي، مشروع ملا مصطفى وادريس، الأخير وصف "المشروع" بآلـ "هدّام" وعاملاً هاماً لسقوط الحركة الكردية.

ولم يكن مشروع ملا مصطفى وعبيد الله أو لقمان.

ولم يكن مشروع ملا مصطفى وعثمان (نجل شيخ بارزان) والأخير وقف ضده.

لم يكن المشروع مشروع ملا مصطفى وحسو ميرخان دولمري، وحاجكي جه مي وحسن خال حمزة، أو قادة آخرين من رفاق السلاح لعقود طويلة، أو قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني أو حتى بقية البارزانيين.

كان "المشروع" حصراً مشروع ملا مصطفى ومسعود وجَدّ مسعود محمود آغا الزيباري وأبنائه زبير آغا واخوته. لقد كان مشروعاً يخص العائلة من آخر زوجاته. كانت الحجة واضحة أنّ ملا مصطفى بلغ سن الشيخوخة ولايمكن الانتظار لفرض عملية الوراثة لما بعد رحيله! يجب اتمامها وهو على قيد الحياة. كان كل شيء ملحاً وضاغطاً لا مجال للانتظار.

لقد تبنى ملا مصطفى المشروع العاطفي رغم العراقيل الكبيرة وافتقاره الى المنطق والشرعية، فحشد كل طاقاته لإزالة كافة العقبات مهما كلف الثمن! ولم يكن ممكناً تحقيق المشروع الاّ عن طريق الأساليب الملتوية والابتزاز والتضليل والعنف والكذب والجريمة. لم يكن مشروعاً يحظى بدعم جماهيري وقابلا للتحقيق الاّ بالتجرد من كافة القيم الوطنية والقومية والإنسانية واستخدام القوة لفرض الأمر الواقع. الانزلاق نحو المزيد من (جاشايه تى)

لقد أظهر كامل الاستعداد للقيام بهذا الدور بغض النظر عن النتائج السلبية الخطيرة على الأمد البعيد. فكان أول خطوة تتمثل في إزالة العقبات مهما كلف الثمن.

القضاء على الرمزية الثورية

هذا التغيير الجوهري الصريح في شخص ملا مصطفى كان مستحيلاً لو كان انتمائه الثوري وقيم العدالة فيه متجذرة، وبكلمة أدق لم يكن (قائداً عقائدياً) ذو ثوابت، فهناك فرق كبير بين أن تكون "ثورياً حقيقياً" وبين أن تتبنى المظاهر الثورية للتضليل! الواقع ومن يتَتَبُع مسيرة حياته يكتشف أنه كان يتبنى المواقف حسب الطلب والحاجة ويتخلى عنها عندما يقرر ذلك من زاوية مصلحته الشخصية. لم يلتزم بأي مبدأ أو ثوابت أخلاقية، لذا لم يجد صعوبة في تبني نقيض ما دعى اليه بالأمس. فالتظاهر بالزهد والتقوى لم يمنعه من تكديس الملايين من الدولارات في منزله، وتقديس بارزان كما كان يتظاهر لم يمنعه من تمزيقها ويجبر أهلها الالتجاء الى نظام صدام حسين وقد تم إبادة جميع الذكور عام 1983 كما هو مُوَثَق. ولم يمنعه التظاهر بالثورية قتل (عضو المكتب السياسي لـ (حدك) إيران سليمان معيني في 1968/5/15 وتسليم جثته الى السافاك الإيراني، "وتجاوز عدد اعضاء (حدك) الإيراني الأربعين مناضلاً، امّا قتلوا أو اعتقلوا وسُلِموا للسلطات الإيرانية من قبل رجال البارزاني." [3]

لم تكن قيادة الحركة الكردية المتمثلة في شخص (ملا مصطفى) محصنة ومزودة بمضادات "خيانة القضية الكردية" أو عدم تجاوز "المحرمات القومية والوطنية" أو اغتيال قادة الحركات التحررية في الأجزاء الأخرى من كردستان، أو الانخراط في سلك الارتزاق لدولة أجنبية.

كان القادة الكرد من الأجزاء الأخرى من كردستان والذين وصلوا إلى مناطق كردستان المحررة، على ثقة بنزاهة قيادة ملا مصطفى، ولم تساورهم الشكوك في الجوانب المظلمة من شخصيته ولم يستوعبوا الحقائق التي

[3]Les Kurdes et le Kurdistan. Sous la direction de Gerard Chaliand. Maspero. P : 183

رافقت مقتل سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني/ إيران، سليمان معيني. ولا ما حصل لقيادي آخر ذائع الصيت، أحمد توفيق[4]، اضطرّ إلى الهرب إلى بغداد كي لا يسلمه ملا مصطفى الى السافاك، وفيما بعد قتله نظام البعث ولم تسلم جثته.

قتل في1971/6/6 سعيد إيلجي القيادي في (حدك– كردستان الشمال مع رفيقين وبتواطئي من قيادة (حدك-عراق)[5] وثم قتل د. شفان – والذي يعتبر عند الكثيرين بمثابة تشي غيفارا كردستاني - مع رفيقين قياديين بأمر من ملا مصطفى في 26.11.1971. وأخفيت الجثث عمداً. يعتبر إخفاء الجثث بمثابة «إخفاء للرمزية" ومنع تحوله الى مزار يزار من قبل الجماهير. وكان ذلك موضع ارتياح الساڤاك الإيراني والميت التركي. تحولت كردستان المحررة الى "مقبرة مجهولة" دفن فيها عدد من أهم رموز الحركة التحررية الكردية، وأصاب الشلل كفاح الشعب الكردي في كردستان الشمالية (تركيا) نتيجة هذه الاغتيالات بأوامر من قيادة ملا مصطفى.

وبعد أن ورثه ابنه مسعود حصل تفاهم أشمل وأعمق مع حكومة أنقره في ضرب حزب العمال الكردستاني عسكرياً وأمنياً وسياسياً الى حدود تأليب الدول الأوروبية وبإيعاز من الميت التركي ضد الحزب، الرجاء مراجعة مذكرة موجهة في 1998/12/11 الى وزارة العدل الإيطالية [6]والى دول الاتحاد الأوروبي من وزير العدل (قادر جباري). ويتحمل قادة (حدك) المسؤولية المباشرة عن جريمة الإبادة الجماعية للايزديين عام 2014، وقد اعترفت ألمانيا بمذبحة اليزيديين على يد داعش باعتبارها "إبادة جماعية". وهناك مقالات كثيرة في الصحافة الأجنبية تدين مباشرة تخاذل قيادة مسعود في الدفاع وحماية الايزديين قبل وأثناء هجوم فلول داعش الإرهابية على مناطق سنجار.[7]

ثم ألقي القبض على (جميل محو) السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكردي في لبنان - وهو في زيارة الى كردستان - بتهمة علاقاته مع عبيدالله وأودع السجن، وأيضاً لرفضه شروط قيادة (حدك) في تغيير قيادة الحزب الديمقراطي الكردي في لبنان، ونال الكثير من الشتيمة والاهانة والتعذيب من ملا مصطفى نفسه، فقد دعاه للمثول أمامه ولم يترك له فرصة الدفاع عن نفسه فقد كان في حالة عصبية خارج السيطرة، أمطره بالشتائم والتهديد بالقتل وبتهمة الخيانة العظمى[8]، أودع السجن دون دليل. كان هناك خوف كبير من تشكيل تحالف واسع مع عبيد الله يفسد مشروع "التوريث" من أساسه، وقد عبّر ادريس صراحة لجميل محو: "اننا نخشى إطلاق سراحك لأنك ستتعاون مع عبيدالله ضدنا." وشارك هذه المخاوف ملا مصطفى نفسه، وكان آخر طلب له من جميل محو بأيام بعد الهزيمة الساحقة، وهو في نقده، ولم يمرّ بعد أسبوعين على إبادة عائلة محمد آغا ميركه سوري، وأن هناك آخرون يجب قتلهم، ومتناسياً 4 أعوام في السجن والتعذيب والاهانات عانى منها جميل، طلب من جميل محو:

"إذا كان في مقدورك أن تقتل ابني عبيد الله فأنا على استعداد لأن أدفع لك المبلغ الذي تريده."

جميل محو لم يرد وقد أصيب بالذهول. (ص: 253 مذكرات جميل محو).

ولنعد الى مشروع التوريث، في أحيان كثيرة تحديد الأهداف يقرر تحديد وسائل الوصول لتحقيق تلك الأهداف، كان هدف ملا مصطفى واضحاً الا وهو (محو الازدراء في الذاكرة الكردية لرؤساء الجاش) و (إعادة الاعتبار لهم) وقبولهم كرؤساء وقادة يطاعون، دون أدنى شك يحتم هذا الموقف التحرك ضد التيار السائد في المجتمع، وهذا غير ممكن تحقيقه الاّ بضرب ثقافة "مقاومة الارتزاق". وهنا دخل في صراع محموم مع شعبه،

---

[4] أحمد توفيق سكرتير (حدك) إيران، لا أحد يستطيع نكران ما قدمه من خدمات عظيمة وهو أول من أدخل صحفي أمريكي من بيروت الى معاقل الثورة، وشارك شخصياً في المعارك، وقد نبذته قيادة ملا مصطفى للتقرب من السافاك الإيراني وخشي أن يلقى مصير (سليمان معيني) فهرب الى بغداد وتعرض للتعذيب حتى الموت في دهاليز الأمن العراقي.

[5] أضواء على الحركة الكردية في سوريا. عبد الحميد درويش. الطبعة الثانية، السليمانية 2003. ص: 194- 195

[6] رسالة موجهة من قادر جباري وزير العدل في حكومة اقليم كردستان الى وزير العدل الإيطالي بتأريخ 11.12.1998 معادية لـ PKK تحمل روح المخابرات التركية MIT.

[7] How the U.S.-favored Kurds Abandoned the Yazidis when ISIS Attacked... Christine van den Toorn BETRAYAL!

[8] جميل محو. مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية،

لهدم جبهته الداخلية وزاد اعتماده على الخارج، وبالأخص مثلث) سافاك- الموساد – C I A ولم يأبه بآلام شعبه وشكواه، فقد اعتمد كلية على المساعدات الخارجية والعمل على ترضية الدول المانحة.

لقد تبنت "قيادة حدك) ثنائية الانتماء (بيشمركه /جاش) الشيء ونقيضه، والغريب أن معظم الأحزاب السياسية الكردية الأخرى التي ظهرت بعد ذلك تبنت بدرجات متفاوتة مواقف متناقضة؛ بيشمركة /جاش/. الفساد/ محاربة الفساد، هذه الأحزاب لم تكن محصنة في ثوريتها ومبادئها أمام قيم الظلم والفساد والارتزاق، فعندما تفاهمت قيادة (حدك) مع نظام الشاه وفيما بعد مع الجمهورية الإسلامية تبنت مواقف عدوانية ضد الحركة الكردية في كردستان ايران، وبعد التقرب من أنقره دخلت في حرب ضد حزب العمال الكردستاني وحركة التحرر الوطنية لـ (روژ آڤا) ولاتزال، وعندما تفاهمت مع نظام صدام حسين حاربت الاتحاد الوطني الكردستاني والمعارضة العراقية (المؤتمر الوطني العراقي)، ويترأسها أحمد الجلبى، هذا دون التطرق الى شرعنة السرقات من المال العام وترسيخ منظومة الفساد وتعميمها في المجتمع[9].

ارهاب الشعب الكردي:

"استخدم الإرهاب ضد الشعب في السنوات الأخيرة وكذلك ضد منتسبي القوى الوطنية العراقية الموجودة في كردستان بشكل مناف لمصلحة الشعب الكردي مثل اغتيال 12 شيوعياً[10] من تنظيمات اللجنة المركزية واثنين من القيادة المركزية من قبل آمر هيز زاخو وبعلم قيادة البارزاني وكذلك اغتيال مجيد رستم ومحمد حاجي إبراهيم وثمانية أشخاص آخرين معاً في منطقة (خلكان) دون مبرر بأوامر من هذه القيادة وذلك عندما كانوا قادمين لمقابلتها بناءً على طلب الأخيرة وكذلك إبادة أسرة محمد آغا مبركه سوري بأمر من البارزاني، وتسليم خمسة من أعضاء جيش التحرير الشعبي في السليمانية الى حكام بغداد الفاشيست الذين أعدموهم فيما بعد، وغيرها من الجرائم المماثلة."[11]

بدأ بتدمير المنظومة القيمية للمجتمع واستخدم المال والمنصب والقوة والتحايل لبلوغ هدفه. فرض على المجتمع القبول بالمرتزقة (جاش) كـ "قادة" لهم، ليس هذا فحسب انما فرض الطاعة على قادة بيشمركة مرموقين قاتلوا هؤلاء المرتزقة طوال عقد من الزمن، وأجبرهم على طاعة المرتزق كونه "خال مسعود" فقد وضع أولوية القرابة فوق المؤهلات. قائد بيشمركة ينحني أمام قائد جاش (مرتزق). لقد أنتج ثقافة جديدة، في نظري هي السائدة الآن في مجتمع إقليم كردستان/عراق، (ثقافة ثنائية) يتمازج فيها المرتزق والثوري، والكفة الراجحة من الناحية العملية هي كفة المرتزق مع الاحتفاظ بالخطاب الثوري في الاعلام الحزبي والحكومي. وهذه الثقافة المتفشية على نطاق واسع مسؤولة بالدرجة الأولى عن ظاهرة بروز هذا العدد الهائل من المثقفين الانتهازين من طلاب المناصب والرواتب الدسمة، يرقصون حول حيتان الفساد والسرقات من رجال السلطة، والعقلية السائدة اليوم فى مجتمعنا مسؤولة الى حدٍ كبير عن خضوع الأحزاب وحكومة الإقليم لأجندات بعض الدول المعادية.

لابد من تدمير القيم الرمزية للأشخاص الذين يجسدون روح المقاومة والوطنية الصادقة وصفات النبل والكرامة، أي "الصفوة" وافراغ المجتمع من هذه المبادئ وتعويضها بقيم المرتزقة وعبادة الدولار، فحلّ (زبير آغا) رئيس الجاش محل (حسو ميرخان دولمري) قائد البيشمركه وواحد من الذين لجأوا الى روسيا، أي وضع منزلة زبير فوق منزلة حسو، وحاول فرض الطاعة عليه ليصبح نموذجاً لقادة آخرين لكي يتخلوا عن الروح الثورية وقيم الكرامة والكفاح ضد الظلم والعبودية. ارغام (حسو) على تلقي الأوامر من زبير لكونه خال مسعود كان يعني تدمير القيمة الرمزية والمعنوية لـ (حسو) وللمبادئ الثورية لشعب يخوض صراعاً دموياً من أجل نيل حقوقه كشعب يعيش في وطنه التاريخي.

---

[9] تجدون تفاصيل هذه الانحرافات في الجزء الثاني من الحركة التحررية الكردية وصراع القوى الإقليمية والدولية 1958-1975. فصول الولاء المزدوج لرئيس (حدك). هزيمة الانتصار، اللاعبان في الميدان.

[10] مع جلال عمر سام آغا كنا في زيارة لـ فاروق ملا مصطفى صيف عام 2017، ذكر الأخير ان ابن شقيقته كان أيضاً ضمن مجموعة الشيوعيين الاثني عشر.

[11] تقييم مسيرة ثورة أيلول وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها) الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. عام 1977

وفرض نفس المنطق على عثمان شيخ أحمد وعلى أولاده عبيد الله ولقمان ومجموعة أخرى من الشخصيات المعروفة، وعندما رفضوا الإذعان للمهانة عاداهم وضيق عليهم الخناق وهؤلاء اما هربوا أو قتلوا. لكنه مضى حتى النهاية في محاربة المبادئ الثورية والوطنية، فقد كان يعلم انه لن يستطيع ان يفعل ما يشاء والمجتمع متمسك بالقيم الثورية ومقاومة الظلم، لذا وجب عليه محو المبادئ الثورية من المجتمع ليتحرر هو من هذه القيود، واجبار المجتمع على قبول خلافة مسعود لوالده رغم خلفيته التاريخية والتربوية المرتبطة بقيم الارتزاق.

كان ملا مصطفى في العقد الأخير من حياته قد انضم الى المعسكر الآخر المعادي لقيم الثورة ولقيم بارزان ولم يعد مهتماً بما يقال عنه أو بمستقبل الحركة الكردية، لقد واجهه العديد من العقلاء والمعّمرين الحكماء ومن مختلف المشارب ونصحوه وحذروه من النتائج الكارثية لهذا المنحى، لكنه كان يتملص ويتهرب تحت حجج لا صلة لها بالموضوع، بعدها أصبح أكثر شراسة وأتخذ إجراءات رادعة بحق كل من عارض تسييد المرتزقة كقوة داعمة لضمان توريث السلطة والمال لابنه مسعود بعد وفاته مما أحدث صدمة وخيبة أمل كبيرة في الوسط الكردي.

وان جاز التعبير، كانت أرباح الشركة التي تحمل عنوان رسمي «الثورة الكردية" وفروعها المنتشرة في مناطق سوران وبادينان بأسماء مختلفة كـ (الحزب الديمقراطي الكردستاني) و (اللجنة المركزية) و (جهاز الباراستن) و (بيشمركه) ومقرّ البارزاني و زيره فاني..... الخ تتجاوز أرباحها – في الحقيقة سرقات - عشرات الملايين من الدولارات وجاء وقت تسليم إدارة الشركة لابنه ليستمر في تحقيق الأرباح. وفعلاً الأرباح التي حققها الابن جعلته ينافس مشايخ الخليج اذ اجتاز الابن مع الأولاد مرتبة التعددية المليونيرية الى التعددية المليارديرية. وان كان الجدّ قد نجى من المسائلة، فان الأولاد والاحفاد هدف لمطاردة العدالة حالياً.

وبدل أن يجني معسكر البيشمركه ثمار النصر – بيان 11 آذار 1970 - بعد كفاح مرير وفق منطق الثورة، إذا بهم يخسرون ويضيع النصر لصالح مجموعة من المرتزقة، بسبب الانقلاب في شخصية قائدهم وتنكره للمبادئ الثورية التي تظاهر بها الى أن أماط اللِثام عن حقيقته.

تم ارسال الوفود من مقرّ ملا مصطفى الى الموصل حيث المقرّ الرئيسي لمعظم قوات الـ (جاش) التابعين لمناطق بادينان، للتشرف بزيارة محمود آغا الزيباري مع الهدايا والأموال وعلى رأس الوفد (ادريس) نجل قائد الثورة وفُرِضَ عليه هذا الدور المشين وهو مُكرَهٌ لكنه لا يجرؤ على الرفض، بينما يختفي مسعود وراء ظهر والده، كانت فضيحة مدوية. عزيز عقراوي وآخرون وقفوا ضدها مما وضعهم في مواجهة مباشرة مع ملا مصطفى وابنه.

وفي شهر أغسطس 1970 قدّمَ قائد الحركة الهدية الثمينة الأولى المنتظرة لولده مسعود فشكل لخاله (زبير آغا) قوة عسكرية في قضاء عقرة من عشيرة الزيبار منحها حوالي ألف بندقية [12](برنو) فتحول مرتزق الأمس الى قائد بيشمركه بين عشية وضحاها وفق إرادة القائد الأعلى للبيشمركه ملا مصطفى. ورفض حسو ميرخان دولمري قائد جبهة عقره-شيخان الامتثال لأوامر ملا مصطفى وكانت النتيجة اقالته وتعرضه لغضب الرئيس المنحاز دون قيد أو شرط (للجاش) وهدده بالسجن.

الجانب الخطر والمنذر بالشؤم ظهر للعلن، ذلك الجانب الذي يمنع الكلام عنه، والذي حذّر منه مراراً شيخ بارزان (أحمد) واثنين من الصحفيين الأجانب ذوي النظرة الثاقبة الذين شخّصوا بدقة سيكولوجيته، هما دافيد آدمسون البريطاني وكريس كوتجيرا الفرنسي: «في طبعه -يعني ملا مصطفى - شيء سلبي وهدّام".[13]

هذا الجانب الخطر من شخصيته كان الأكثر بروزاً فيما تبقى من عمره، وبالأخص خلال السنوات التي أعقبت بيان 11 آذار 1970 مروراً بإنهاء الحركة الكردية في آذار1975 وفَرض القاء السلاح على من أراد

---

[12] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي، ص: 309

[13]Le défi Kurde : Chris Kutschera. Bayard Editions 1997. P : 27

مواصلة القتال حتى النهاية. ووصولاً الى السنوات الأخيرة من اقامته في واشنطن الا أن وافته المنية في مارس 1979. وقد تَجَمَعَ بين يديه الملايين من الدولارات. ويؤكد الصحفي المصري محمد حسنين هيكل في أغسطس 1975 أثناء مقابلة مع شاه إيران، يذكر له الشاه بالنص:

"لقد كلفتنا عملية كردستان 300 ثلاثمائة مليون دولار."

جميع المساعدات المالية من قبل الدول المانحة كانت تنقل الى بيت ملا مصطفى مباشرةً وتحت تصرفه المطلق، وقد حاور محمد حسنين هيكل ملا مصطفى في طهران:

"أنك كنت تقود الثورة الكردية بمنطق إقطاعي قبلي حتى إن خزينة الثورة الكردية كانت صناديق من المال تحت تصرف ابنك الأصغر الأثير إليك من آخر زوجاتك... ولم يكن يصرف إلا بأمرك، وكأن الصرف على الثورة قضية عائلية أو حتى قضية شخصيه"

للأسف لم يجبه انما تبنى حالة عصبية ليتخلى هيكل عن هذا الموضوع الحساس. [14]

ثم أمعن في هدم قيم بارزان وتمزيق نسيجها الاجتماعي - بعد رحيل المرشد شيخ أحمد – مباشرة ليتسنى له تنفيذ مشروعه العائلي، وكان يهدد بتصفية حوالي خمسين من شخصيات الطريقة المجازين من قبل (شيخ بارزان) كلهم من وكلاء الطريقة بحجة كونهم خونة، لكن محمد خالد وعثمان ولدي شيخ بارزان عارضا الفكرة.

وبعد بيان آذار 1970 كان الوقت يضيق أمامه لضمان تنفيذ المشروع العائلي، فبدأ بتصفية الحسابات في بيته فكان طرد عبيد الله ابنه البكر وأكثرهم دهاءً، بذريعة العلاقات مع نظام البعث والتجاء الأخير الى بارزان، ثم هدد ملا مصطفى بالزحف على بارزان ان لم يغادرها عبيد الله، وطارد الأب الابن ولم يهدأ له بال الى أن أجبره على المغادرة الى بغداد، كان الصراع العائلي يتلبس لبوس الوطنية والقومية زوراً.[15]

وبالنسبة لرئاسة (عثمان) وتجريده من كافة الصلاحيات فقد شَكَّلَ ملا مصطفى قيادة موازية له مكونة من عدد من أفراد العائلة مقرها في بلى جنوب بارزان، ولنصب فخ له، أوعز (ملا مصطفى) الى جهاز الباراستن تهيأت رسالة باسم حسين آغا خدر آغا السورجي[16] موجهة الى (عثمان) يعرض عليه مساعدته، وحَمَلَها ساع من الباراستن الى (عثمان) لم يشك الأخير بتآمر عمه الى هذا المستوى، فردّ على الرسالة يشكره فيها على رسالته وانه لا يحتاج الى شيء، عاد الساعي في نفس اليوم وسلّمَ الرسالة الى ملا مصطفى ، وقد نجحت خطته للإيقاع بابن أخيه الذي ساعده مراراً في لحظات حرجة عند تقهقر قوات البيشمركه في الجبهات أمام تقدم قوات الجاش والجيش، فكان يرسل سراّ مسلحين من بارزان للتصدي لزحف القوات المعادية.

هنا أستغل ملا مصطفى رسالة عثمان الجوابية وارسلها الى محمد خالد كدليل على علاقة عثمان بالمرتزقة، يحثه على تنحية عثمان وان يحلّ محمد خالد مكانه، لأن عثمان لا يصلح ان يمثل بارزان، لقد أوقع الفتنة بين الأخوين خدمة لتحقيق مشروعه العائلي، وكل هذا كان يَصُبّ في مصلحة نظام البعث والمرتزقة الكرد بشكل مباشر. ثم ضيق الخناق عليه بتجريد قوة مسلحة اختار لقيادتها ابن شقيقة عثمان (عبد المهيمن) ليزيد التوتر ويعمق الخلاف داخل الاسرة الواحدة، فتم طرد عثمان ومجموعة كبيرة من أتباعه والتجأ الى نظام البعث المنتشي بهذه التطورات التي تصب في مصلحته مجّاناً. كانت صدمة كبيرة للبارزانيين أن وجدوا أنفسهم في صراع داخلي لا لزوم له، انما أرادها ملا مصطفى خدمة لمشروع التوريث.

---

[14] لقاء مع صقر عجوز. مقالة لـ محمد حسنين هيكل. طهران أغسطس 1975

[15] الحركة التحررية الكردية وصراع القوى الإقليمية والدولية 1958-1975. فصول الولاء المزدوج لرئيس (حدك). هزيمة الانتصار، اللاعبان في الميدان.

[16] المصدر محمد خالد، وشقيقه عثمان ومن أدهم البارزاني.

ابادة عائلة محمد آغا ميركه سوري (آذار 1975)
وإبادة البارزانيين في أغسطس 1983

حتى الآن، هذا الموضوع لم يعالج في نظري بشكل موضوعي وبعيد عن العواطف، رغم أن الكثيرين كتبوا عنه مشكورين، خاصة ان ذوي الضحايا أجبروا على الصمت، ففي القضية الأولى (سجن خلان) مرتكبي الجريمة يسيطرون على المنطقة التي كانت مسرحاً للجريمة وفي الجريمة الثانية (قوشتبه) كان صدام حسين في بغداد ماسكاً بزمام السلطة ومتحالف مع مرتكبي الجريمة الأولى حتى عام 2003 وامتدت سيطرة الأخيرة الى يومنا هذا ونحن في بداية عام 2024. كما لا يخفى أنه جرت عمليات تهديد وشراء الذمم على ذوي الضحايا للالتزام بالصمت الكامل والاّ سيندمون.

هناك ترابط عضوي بين جريمتي الإبادة عام 1975 وكان الجاني قيادة (حدك)، والثانية 1983، كان الجاني صدام حسين، والثانية متصلة بالأولى، فسلسلة الأحداث التي أطلقتها قيادة ملا مصطفى لتحقيق "مشروع التوريث" على مدى أربع سنوات، فتحت الباب على تتابع ولادة الأحداث وخروجها عن السيطرة، وهنا نعود الى البدايات لتوضيح الصورة العامة وهذا يقتضي معرفة ما كان يدور في مخيلة ملا مصطفى القائد الأعلى للبيشمركة ورئيس الحزب والحاكم الفعلي لكردستان المحررة، من خلال خطواته الفردية ومواقفه المعلنة وخططه السرّية والمغطاة بعباءة القومية.

هنا لا بدّ من طرح عدد من الأسئلة بعدها نحاول الإجابة عنها عندما تتضح الجوانب الخفية والمسكوت عنها حتى اليوم. فأول ما يلفت النظر هو أن الجريمة حصلت في آذار عام 1975 مباشرة بعد هزيمة القيادة الكردية، والسؤال الذي يتبادر الى الأذهان هو، بعد أن قررت القيادة الكردية الهرب الى إيران وتصفية الحركة الكردية والقاء السلاح ولم يبقى لها شيء في كردستان تدافع عنه، لماذا أمر ملا مصطفى في هذا الأثناء بتصفية ما بقي من أفراد عائلة محمد آغا ميركه سوري؟ أي ابادة جميع الذكور.؟ لماذا قضى على رشيد وأسعد ولدي محمد آغا وليس لهما أية علاقة بالسياسة؟ ومحمد آغا نفسه على فراش المرض ولم يشكل أي تهديد لملا مصطفى، قتل ودفن مع معطفه الذي أهداه له ملا مصطفى نفسه، وكان يجهل ان المعطف كهدية يكون بمثابة كفنه. تعرفت عليه زوجته (هه مين خانم) وهي والدة فاخر، عندما ذهبت تبحث عن ضحايا الجريمة حول سجن رايات بحوالي اسبوعين بعد 26 آذار 1975، فقد أتت على آثار تربة حفرت حديثاً قرب جدول ماء وبدأوا بنبش الموقع الى أن ظهرت الجثث.

لماذا قضى على الجميع ولم يبق على أحد؟ عندما تُقَرر البدء بالقتل. لابد أن يكون هناك دافع قوي للغاية، هل هو الخوف منهم؟ أو الشعور بخطر داهم؟ هل نفذت جميع الحلول الأخرى؟ هل فكّرَ بمصير الأطفال الأيتام والنساء الأرامل والبنات بلا معيل ويتجاوز عددهم الستين انساناً؟ أم انه كان بطبعه استئصالياً لا يعرف معنى الرحمة حتى وان كانوا من أقاربه؟ وهل كان ذلك ضرورياً لتحقيق مشروع التوريث ويستحق هذا الثمن الباهظ.؟ هل كان الدافع خدمة أهداف وطنية؟ أم مشروع شخصي وعائلي محض؟

هل ارتكاب جريمة بهذا الحجم شجاعة أم جبن؟ أليس ذلك تعبير عن خوف عظيم يستحوذ بعمق على جميع حواسه وتقض مضجعه بحيث لا يجد سبيلاً آخر للهروب من هذه المشاعر الضاغطة غير قتلهم؟

كان قد أعدّ العدّة منذ زمن وقد حشّد كل طاقاته وبتصميم وتحدي كل العقبات ومهما كلّف الثمن من أجل تحقيق مشروعه! ولم تكن عملية الإبادة الجماعية لعائلة محمد آغا ميركه سوري سوى جزء من مشروع ضخم كما ذكرناه باختصار في هذه المقالة.

في 14 شباط 1971 اغتال جهاز الباراستن الشاب (جميل) في أربيل، وهو ابن محمد آغا ميركه سوري، وأرسل ملا مصطفى ولديه ادريس ومسعود نيابة عنه لتقديم العزاء "للخال" محمد آغا وهم على قناعة أن عملية

الاغتيال جرت بسرّية تامة ولن يُكتَشَفَ أمرهم، ووعدوا الأب بأنهم سيعملون كل ما في وسعهم لكشف الجاني ومعاقبته. [17]

صادف أن كنت في طريقي الى أربيل، عندما علمت أن السيارة التي تجاوزناها، فيها فاخر ميركه سوري، توقفنا وتوقف فاخر، وقررنا السير مسافة على القدمين بين شقلاوه ومصيف صلاح الدين وسياراتنا تتبعنا على مهل. كان فاخر ممتعضاً بسبب مقتل أخيه (جميل) وأيضاً كان استقبال ملا مصطفى لمحمود آغا الزيباري وأولاده وتبوأ مراكز عسكرية قيادية هامة في قطاع عقره-شيخان موضع سخط ولا يمكن قبوله.

كان لفاخر دائرة واسعة من الأصدقاء فكشفوا له دور جهاز (باراستن) في مقتل أخيه وهوية الجاني (حه مه رؤوف). ثأرَ سعيد شقيق فاخر لمقتل (جميل) وكان من المفروض انتهاء الأمر هنا، لكن ملا مصطفى رفض القبول بهذا، وقبض على سعيد، وقُتِلَ على الفور مع خليل ولم تسلم جثتهما خلافاً لكل الأعراف، وقبض على فاخر وهو عضو في اللجنة المركزية لـ (حدك) وفيما بعد قبض على جميع أفراد العائلة دون استثناء على الطريقة البعثية، وهنا نورد نص ما كتبه عصمت شريف فانلي بصدد أسباب انهيار الحركة الكردية، ويشير الى مقتل فاخر:

" أعدمت المخابرات التابعة لباراستين فاخر ميركه سوري، وهو شيوعي كردي متهم بالعلاقة مع مخابرات البعث، وهو الذي ربح أهم معركة حققتها الثورة على الإطلاق، بطل معركة هندرين في مايو 1966. تم إعدامه دون محاكمة ومع أفراد عائلته، ودون تقديم دليل على خيانته أمام محكمة ثورية.»[18]

قتل فاخر دون الإعلان عنه، وأخفي مكان الدفن، بذلت والدته (هەمين خانم) كل جهدها لمعرفة مصير أولادها دون جدوى، خلال سبع سفرات الى مقرّ ملا مصطفى، لم تتمكن من رؤية لا ملا مصطفى ولا واحد من أولاده، كانت تُطرَد أو تهان من قبل الحراس، لكنها أبت ان تيأس، والفضل يعود لها بعد انهيار الحركة الكردية أنها عثرت على جثث زوجها محمد آغا وآخرين، لكن بقي الى اليوم مكان دفن (فاخر) سراً، يرفض مسعود كشفه.

السمة الأكثر بروزاً في سلوك ملا مصطفى في العقد الأخير من عمره أنه زاد عنفاً وتزايدت أوامر الاغتيالات ومعظمها ضد البارزانيين والقوى اليسارية الكردية والعراقية بشكل عام، كما دمّرَ الحزب وفرض عليه التبعية وتنفيذ الأوامر وفرض المرتزقة على تنظيم البيشمركة في قطاع عقره-شيخان وقطاع رانيه. وأفرغ الثورة من محتواها، في واقع الأمر كان قد هيأ معظم عوامل سقوط الحركة الكردية أمام زحف القوات العراقية عندما تجدد القتال عام 1974. كما لم يبقي على جسور مع المعسكر الاشتراكي والقوى اليسارية في العالم العربي، كان الشاه يغدق الأموال بسخاء وكلها تصل مباشرة الى رئيس الحزب، كان الثراء يتراكم والهزائم العسكرية تتوالى في الجبهات، وكان قراره انهاء الحركة الكردية بمثابة اعتراف صريح بفشل قيادته ومسؤوليته المباشرة عن صنع الكارثة الوطنية، وقد قالها الدكتور محمود عثمان في مقابلة صحفية بصراحة ووضوح على سؤال، لماذا لم تستمروا في المقاومة؟:

"لم نواصل المقاومة لأننا أثبتنا اننا قيادة فاشلة ولا نتحمل المسؤولية في الأوقات الصعبة، كان هناك المال والسلاح والعتاد وكثير من المقاتلين ومناطق شاسعة وكان الاستمرار في المقاومة ممكناً، عدم المقاومة كان قرارنا نحن ولم يجبرنا أحد على اتخاذه، وقد اعترف صدام بأنه لم يبقى لدى الجيش العراقي ما يكفي من عتاد المدافع ....."

كانت المأساة الكبرى هي أن الشعب الكردي لمحدودية وعيه لم يقيّم شخصية ملا مصطفى على حقيقتها، واستطاع هو أن يعطي صورة مغايرة عن نفسه ويخفي حقيقته وقد ظهرت للعلن مباشرة بعد بيان آذار 1970 وحتى وفاته 1979 في واشنطن.

---

[17] الحركة التحررية الكردية وصراع القوى الإقليمية والدولية 1958-1975. فصول الولاء المزدوج لرئيس (حدك). هزيمة الانتصار، اللاعبان في الميدان.

[18] Les Kurdes et le Kurdistan. Sous la direction de Gerard Chaliand. Collection Maspero. P. 284.

نتيجة هذه التحولات المذهلة في مستوى القيادة نصل الى المعادلة التالية: من يعتبرهم ملا مصطفى او ابنه كخصوم مثل، عبيد الله بارزاني ولقمان وعثمان ونذير بارزاني وآلاف من البارزانيين، يقضي عليهم صدام حسين.

وفاخر ميركه سوري، أحد أبطال معركة هندرين وكافة اخوانه مع والدهم، وممن تعتبرهم الحكومة العراقية خصوماً، يقضي عليهم ملا مصطفى! وفيما بعد يتآمر مسعود مع صدام للقضاء على نفوذ الاتحاد الوطني الكردستاني في أربيل ويقدم قوى المعارضة العراقية (المؤتمر الوطني العراقي) وجميع الاطياف العراقية التي تجمعت تحت خيمة المؤتمر لقمة سائغه ليقضي عليهم الجيش العراقي بسهولة عام 1996.

سواء بعلم أو بغير علم قدم الطرفان خدمات متبادلة أحدهم للآخر، كما أن هذا الحضور الكثيف اليوم لأتباع صدام حسين في أربيل دليل على عمق العلاقة بين الطرفين. كل ذلك كان في خدمة مشروع الوراثة! وتقوية منحى الارتزاق على حساب الأصالة الثورية.

وبعد ابادة مجموعات من الكرد الفيلية 1980، البارزانيون في قوشتبه 1983، حلبجه والأنفال عام 1988، وفي مشهد فريد من نوعه في التاريخ، وبعد كافة المجازر التي ارتكبها نظام البعث، أمام أعين العالم، هرول القادة الكرد الى بغداد ليقبلوا وجنتي أخطر مجرم في تاريخ العراق الحديث صدام حسين، بعد الانتفاضة الكردستانية عام 1991.! لقد تخطى القادة الكورد المحرمات دون أن يكلفهم كثيراً، وذلك بفضل ترسخ ثقافة الارتزاق التي أتوا بها الى المجتمع الكردي، وقد وصف البعض هذه القبلة بـ (قبلة العار). ونتساءل هل يحق لأي من هؤلاء الزعماء بعد تقبيلهم وجنتي صدام حسين أن يتكلم عن العزة والكرامة أمام شعبه ويعطي دروساً فيهما؟

كان ممكناً تفادي الكوارث المذكورة إضافة اليها فيما بعد كارثة ابادة اليزيديين[19]عام 2014 وكارثة الاستفتاء عام 2017 لو كانت قيادة الحركة التحررية الكردية قيادة مخلصة وصادقة مع شعبها ومتمسكة بمبادئ الثورة وشعاراتها وقيم التحرر والعدالة ورفض الظلم.

[19] 'Justice is sleeping': Yezidis struggle to punish Kurds who greenlit genocide. AUG 23, 2024. The Cradle's Iraq Correspondent.
Barzani's deadly betrayal: The Yezidi Massacre of 2007. William Van Wagenen
FEB 27, 2025. The Cradle.